أحاديث الرسول في تحكيم العقول

الدكتور محمد لمقدم
سليمان
المغرب

مقدمة

1- بين يدي الموضوع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، ونذيراً وبشيراً للناس أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

عندما نقرأ أحاديث رسولنا وسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته، فإننا نشعر بالارتفاع إلى الآفاق العليا من خلال فضله في هدايتنا، وفتح عقولنا على وحي الله تعالى.

ولذلك يجب أن يكون في كل مسلم شيء من رسول الله؛ يكون في عقولنا شيء من عقله، وفي قلوبنا شيء من قلبه، وفي دعوتنا كل دعوته، وفي كل علم نتعلمه نراه فيه، فهو لا يريد لنا أن نتحرك في الظلمة، قال الله سبحانه: ﴿يأيها النّبِيء إِنّا أرْسلْنٰك شٰهِدا ومبشِّرا ونذِيرا 45 وداعِياً إِلى اللّهِ بِإِذْنِهِۦ وسِراجا مّنِيراً 46﴾ [الأحزاب: 45-46]، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نور الله الذي ينير ينير الطريق للسالكين، وقد قال سبحانه: ﴿يأهْل الْكِتٰبِ قدْ جاءكمْ رسولنا يبيّن لكمْ كثِيرا مّمّا كنتمْ تخْفون مِن الْكِتٰبِ ويعْفواْ عن كثِيرٍ 16 قدْ جاءكم مّن اللّهِ نور وكِتٰب مّبِين 17﴾ [المائدة: 16-17].. فإلى نور رسول الله، حيث نستهدي به، لعلّنا نفهم منه بعض الشيء في تحكيم العقول، لنستضيء به، وذلك باستقراء بعض الأحاديث المتعلقة بالموضوع وتسليط الضوء عليها، مع توظيفها وإبراز ما تضمنته وتميزت به الأحاديث النبوية الشريفة في موضوع البحث، فالسنة النبوية ليست فقط مجموعة من الأوامر والنواهي والمواقف، إنما هو نسق ورؤية للكون والحياة والإنسان والعالم.

2- أسباب اختيار الموضوع

تتلخص أسباب اختيار هذا البحث في عدة أسباب، منها:

- حصر النص الحديثي، الذي تستهدفه عملية الاجتهاد الشامل، في النص المتعلق بالأحكام، مع إغفال كبير للمساحات الأخرى، كالنصوص المتعلقة بقضايا العقل والاجتماع البشري.
- عدم التدبر والتأمل في السنة من أجل توليد جملة من النماذج المعرفية.
- انتشار ظاهرة الانحراف الفكري.

3- أهداف البحث

تكمن أهداف البحث في:

أ- إعادة الاعتبار للعمل الفكري والثقافي في مجال تدبير الشأن الديني.

ب- الاشتغال على الأسئلة التي تشكل تحديا للإسلام في واقعنا المعاصر.

ج- بناء رؤى وتصورات في مختلف المجالات الحياتية انطلاقا من الأحاديث النبوية، رؤى بمقدورها أن تضع الإسلام في قلب وتجعله يسهم في النقاشات الفكرية والمعرفية التي تجتازها الحضارة المعاصرة.

د- الدعوة إلى مراجعة طبيعة العلاقة التي يبنيها الباحث المسلم المعاصر برسوله صلى الله عليه وسلم.

هـ- جمع وتخريج وتحليل عينة من الأحاديث النبوية المتعلقة بالعقل.

4- إشكال البحث

يمكن ضبط الإشكال الذي يقوم البحث بمعالجته من خلال طرح جملة من الأسئلة:

- أي علاقة بين الرسول وتحكيم العقول؟
- كيف نستصحب الأسئلة الجديدة والإشكالات المعاصرة أثناء عملية قراءة النصوص الشرعية؟

5- منهج البحث

- اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي.
- عزوت الآيات القرآنية إلى موضع وجودها في القرآن الكريم مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- عزوت الأحاديث والآثار إلى دواوين السنة.
- توخيت الدقة في البحث، والأمانة في النقل، مع ذكر المصادر التي أخذت منها.
- أوجزت في الخاتمة أهم النتائج.

6- الدراسات السابقة

أما عن الدراسات السابقة للموضوع: فلم أقف –في حدود معرفتي- على دراسة وافية، أو مؤلف جامع لأفراد هذا الموضوع ضمن دراسة شاملة مستقلة، إلا أن بعض أفراد البحث قد تناولها العلماء والباحثون بالدراسة، وقد حصل لي من المراجع قدر ليس بالقليل، استشهدت بها أثناء البحث.

7- محتوى البحث

أثمرت هذه الدراسة مقدمة، وثلاثة مباحث، خصصتها للحديث على: اختلاف العلماء في الأحاديث الواردة في مكانة العقل، ونماذج من الأحاديث الواردة في العقل، وتعامل الأئمة مع الحديث النبوي.

- أما الخاتمة فقد خصصتها لأهم النتائج التي أثمرها البحث، ولبعض الاقتراحات والتوصيات التي تخدم البحث.

المبحث الأول: اختلاف العلماء في الأحاديث الواردة في مكانة العقل

المطلب الأول: القائلون بعدم صحة الأحاديث الواردة في مكانة العقل

قال أبو الفرج ابن الجوزي: "المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العقل كثير إلا أنه بعيد الثبوت [...]، قال أبو حاتم بن حبان الحافظ: لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبرا صحيحا في العقل لأن أبان بن أبي عياش وسلمة بن وردان وعمير بن عمران وعلي بن زيد والحسن بن دينار وعباد بن كثير وميسرة بن عبد ربه وداود بن المحبر ومنصور بن صقير وذويهم ليسوا ممن أحتج بأخبارهم فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل"[1]

وقال ابن القيّم: "أحاديث "العقل" كلها كذِب، كقوله: "لما خلق الله العقل، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: ما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي"[2]...

قال الخطيب: حدثنا الصوري، قال: سمعت الحافظ عبد الغني، يقول: قال الدارقطني: إن كتاب العقل، وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي، فأتى بأسانيد أخر.

قلت: يريد كتاب "العقل" لداود المحترق الكذاب.

وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصح في العقل حديث، قاله أبو جعفر العقيلي، وأبو حاتم ابن حبان"[3]

المطلب الثاني: سبب ردّ كل ما ورد من الأحاديث الواردة في مكانة العقل

إنّ التصريح بعدم صحة أيّ حديث ورد في العقل، فيه مجازفة، والقضية تحتاج إلى مزيد من التأني في الحكم على جميع الأحاديث بالوضع أو الضعف، وربما طبيعة المعركة بين أهل السنة والمعتزلة دفعتهم إلى هذا السلوك.

قال الإمام الكوثري: "إنّ المعتزلة كما تغالوا في تحكيم العقل، تغالى كثير من الرواة في ردّ كل ما ورد في فضل العقل، نكاية في هؤلاء، والحقّ بين طرفي الإفراط والتفريط"[4].

يؤكد ذلك أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر تضعيفه لحديث:**"لما خلق الله العقل، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: ما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي"**[5] في معرض الردّ على الفلاسفة والباطنيّة، قال: "...ومعنى هذا اللفظ أنه قال للعقل في أول أوقات خلقه؛ ليس فيه أن العقل أول المخلوقات لكن المتفلسفة القائلون بقدم العالم أتباع أرسطو هم ومن سلك سبيلهم من باطنية الشيعة والمتصوفة والمتكلمة رووه أول ما خلق الله العقل بالضم ليكون ذلك حجة لمذهبهم في أن أول المبدعات هو العقل الأول وهذا اللفظ لم يروه به أحد من أهل الحديث بل اللفظ المروي مع ضعفه يدل على نقيض هذا المعنى فإنه قال: {ما خلقت خلقا أكرم علي منك} فدل على أنه قد خلق قبله غيره والذي يسميه الفلاسفة العقل الأول ليس قبله مخلوق عندهم. وأيضا فإنه قال: {بك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وبك العقاب} فجعل به هذه الأعراض الأربعة وعند أولئك المتفلسفة الباطنية: أن جميع العالم صدر عن العقل الأول وهو رب السموات والأرض وما بينهما عندهم وإن كان مربوبا للواجب بنفسه وهو عندهم متولد عن الله لازم لذاته وليس هذا قول أحد من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى إلا من ألحد منهم ولا هو قول المجوس ولا جمهور الصابئين ولا المشركين ولا جمهور الفلاسفة بل هو قول طائفة منهم. وأيضا فإن العقل في لغة المسلمين عرض من الأعراض قائم بغيره وهو غريزة أو علم أو عمل بالعلم؛ ليس العقل في لغتهم جوهرا قائما بنفسه فيمتنع أن يكون أول المخلوقات عرضا قائما بغيره فإن العرض لا يقوم إلا بمحل فيمتنع وجوده قبل وجود شيء من الأعيان وأما أولئك المتفلسفة: ففي اصطلاحهم أنه جوهر قائم بنفسه وليس هذا المعنى معنى العقل في لغة المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم خاطب المسلمين بلغة العرب لا بلغة اليونان فعلم أن المعنى الذي أراده المتفلسفة لم يقصده الرسول"[6].

وممّا يدلّل على مغالات كثير من الرواة في ردّ كل ما ورد في مكانة العقل، قول الإمام الزبيدي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين في معرض رده على الإمام العراقي قال: "قال الزين العراقي وهذه الأحاديث التي ذكرها المصنف في العقل كلها ضعيفة وتعبير المصنف في بعضها بصيغة الجزم مما ينكر عليه وبالجملة فقد قال غير واحد من الحفاظ أنه لا يصح في العقل حديث ذكره عمر بن بدر في كتاب له سماه المغني عن الحفظ والكتاب بقوله لم يصح شيء في هذا الباب وبعض ما ذكره فيه منتقض وقد ورد في العقل أحاديث صححها بعض الأئمة "[7].

وبالنظر في الأحاديث الوارد فيها ذكر العقل نجدها ثلاثة أنواع: قسم ورد فيه العقل بمعنى الدية وهذا لا يدخل في بحثي، وقسم ورد فيه لفظ العقل بصيغة الفعل، وقسم ورد فيه لفظ العقل بصيغة المصدر وهو المقصود هنا كما سيأتي..

المبحث الثاني: نماذج من الأحاديث الواردة في العقل

المطلب الأول: في أهمية العقل

الحديث الأول:

– حدّثنا سعِيد بْن عفيْرٍ قال: حدّثنا ابْن وهْبٍ، عنْ يونس، عنِ ابْنِ شِهابٍ قال: قال حمِيْد بْن عبْدِ الرّحْمنِ: سمِعْت معاوِية خطِيبًا يقول: سمِعْت النّبِيّ صلّى اللّه عليْهِ وسلّم يقول:منْ يرِدِ اللّه بِهِ خيْ .رًا يفقِّهْه فِي الدِّينِ، وإِنّما أنا قاسِمٌ واللّه يعْطِي، ولنْ تزال هذِهِ الأمّة قائِمةً على أمْرِ اللّهِ، لا يضرّهمْ منْ خالفهمْ، حتّى يأتي أمر الله [8].

"والفقه: الفهم، يقال فقه –بفتح القاف– إذا سبق غيره إلى الفهم، وبكسرها إذا فهم، وبضمها إذا صار له سجية، ومنه فقيه فعيل بمعنى: فاعل، وقوله: ("من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين") هو شرط وجزاؤه، وهما مجزومان، ومن لا يريد به خيرا فلا يفقهه فيه وأتى بالخير منكرا؛ لأنه أبلغ، فكأنه قال: على النفي لا يريد به خيرا من الخير، والمراد (بالدين): الإسلام، ومنهم من فسر الفقه في بالفقه في القواعد الخمس ويتصل بها الفروع"[9].

والخيرية التي تضمنها الحديث وهي التفقه في الدين، باب واسع لا يلجه والج من غير مفاتيحه، ومن تلك المفاتيح التدبر والتبتل والاستقراء والاستطلاع والبحث والتقصي، وكل هذه العمليات محركها هو العقل المتزن الرصين، فهو من يبادر وينظم ويراكم العلم

والمعرفة والتجربة الذي يبلغه مرتبة التفقه. ولعل رابطا قويا بين مستهل الحديث ومختتمه، فالفقه في الدين وإعمال العقل هو الطريق لقيام هذه الأمة بأمر الله وعلى أمر الله، وهو الضامن لاستمراريتها وحمايتها من المهالك وخلودها ودوامها إلى أن يرث الله الأرض عليها. فالحديث إذا يعلي من شأن العقل الذي به تتحقق خيرية الفرد الذي هو نواة هذه الأمة، وبهذا الفرد الفذ تتحقق خيرية الأمة لقوله تعالى: ﴿كنتمْ خيْر أمّةٍ أُخْرِجتْ لِلنّاسِ تامرون بِالْمعْروفِ وتنهوْن عنِ الْمنكرِ وتومِنون بِاللّهِ ولو امن أهْل الْكِتٰبِ لكان خيْرا لّهمّ لّهمّ مّنهم الْمومِنونّ وأكْثرهم الْفٰسِقونّ 110﴾ [آل عمران: 110]. ولا دعوة للحق من دون معرفته، ولا معرفة دون علم، ورأس العلم العلم اعمال العقل المستنير بهدي الحق والكتاب المبين.

الحديث الثاني:

– حدثنا محمد بن المثنى: حدثنا يحيى، عن إسماعيل قال: حدثني قيس، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها.»[10].

قال ابن حجر في فتح الباري: "وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازا، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فكأنه قال في الحديث :لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين.

فلا معارضة إذاً بين ما ورد من ذم الحسد وما جاء في الحديث مما أطلق عليه لفظ الحسد مجازا.

وأطلق الحسد وأراد به الغبطة ومعناه لاحسد إلا فيهما ولا حسد فيهما إذ هو غبطة فلا حسد كقوله تعالى ﴿لا يذوقون فِيها الْموْت الْموْتة الاولِىٰ ووقٰيهمْ عذاب الْجحِيمِ 53﴾ [الدخان: 53]" [11]. والمقصود هنا هي الغبطة فالحسد لا يأخذ معناها إلا في هذين هذين الأمرين: أولا: انفاق العلم لتصحيح قيم الخلق، وليس العلم على إطلاقه. ثانيا: إنفاق المال لتصحيح مادية الناس، وليس المال اطلاقه.

ومادون هذين الأمرين لا يدخل في الغبطة وانما في الحسد المحرم والمذموم.

ومن أعلى مراتب الفضل الذي يجعل صاحبه في مكان القدوة والاتباع هي الحكمة، و"الحكمة هي اتقان في العلم والعمل يمتنع معه الزيغ والفساد والجور، أو هي العلم الكامل النافع. فالحكمة والعلم والعقل مترادفات تتداخل بينها وتتعاضد وتتكامل وبها ومعها وفيها يحصل الفضل للفرد والجماعة"[12].

الحديث الثالث:

– حدثنا زهير بن حرب وأبو بكر بن النضر قالا: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا ورقاء بن عمر اليشكري قال: سمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الخلاء فوضعت له وضوءا، فلما خرج قال: من وضع هذا؟ في رواية زهير: قالوا، وفي رواية أبي بكر: قلت: ابن عباس. قال: اللهم فقهه».[13]

– حدثنا عبْد الصمدِ، حدثنا حمادٌ، عنْ عبْدِ اللهِ بْنِ عثْمان بْنِ خثيْمٍ، عنْ سعِيدِ بْنِ جبيْرٍ، عنِ ابْنِ عباسٍ، قال :كان رسول اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم فِي بيْتِ ميْمونة، فوضعْت له وضوءًا مِن اللّيْلِ، فقالتْ له ميْمونة :وضع لك هذا عبْد اللهِ بْن عباسٍ .فقال " :اللهم فقِّهه فِي الدِّين، وعلِّمْه التأْوِيل"[14].

نقف أولا "وقفة مناسبة مع الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الذي كان من أعلم الصحابة بالقرآن وفقه وفهمه وتأويله، والذي حاز لقب ترجمان القرآن.

لقد دعا له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالفقه في الدين وعلم التأويل، وقد ورد هذا الدعاء في روايات عديدة، بينها تفاوت في العبارات.

قصة الحديث أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أراد أن يتعرف على هدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في صلاة الليل، فذهب إلى بيت ميمونة أم المؤمنين وزوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لهذه الغاية وكان غلاما مميزا، وفي الليل، استيقظ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ودخل الخلاء، فأراد أن يخدمه، فوضع له إبريق الماء على باب الخلاء، فلما خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخلاء ورأي الماء، أعجب بذلك التصرف، الدالّ على فطنة ونباهة صاحبه، فسأل ميمونة رضي الله عنها: من فعل هذا؟ فقالت الغلام عبد الله بن عباس.

فضمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ابن عباس إلي صدره بحنان ومودة، ووضع يده على كتفه، ودعا الله له قائلا: اللهمّ فقهه في وعلّمه التأويل.

أي أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم سأل الله أن يمنحه الفقه في الدين، وفهم أحكامه وأن يفقهه في القرآن، ويعلّمه تأويله، ويوفّقه لحسن فهم معانيه.

ومعلوم أنّ دعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم مجاب، ولذلك منّ الله على ابن عباس بالفقه في الدين، وعلم التأويل، فصار بحقّ ترجمان القرآن"[15]

وعند ما ننظر في هذا الدعاء، فإننا نرى الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد جمع بين الفقه في الدين وتعلّم التأويل.

ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس بالتأويل اشارة خفية خفيفة الى أهمية التأويل وعظم مرتبته، والذي به يشتغل العقل ويعمل، فهي اذن دعوة لاستعمال العقل وتحكيمه في ضوء النصوص والآثار، فهو بذلك يعيد الاعتبار للعقل باعتباره مناط التكليف ومعيار التفاضل ومفتاح العلم والفهم السليم للدين الاسلامي الحنيف.

ولا شك أن دعوته صلى الله عليه وسلم دعوة مباركة مركزة تختار من الأمور أجودها ومن الدعاء أفضله، وذلك لما التقطه صلى الله عليه وسلم من نباهة في الصبي وسرعة بديهته، جعلته يدعو له بمبا ركة هذه الموهبة، لأن كمال العقل يقتضي اختباره وتدريبه والاستعانة به، مما يفضي الى القدرة على الفهم الخاص المتفوق، وبحمل لواء التأويل. فكان عقل المسلم الحكيم قائد هذا التأويل ومتزعمه.

الحديث الرابع:

– حدثنا محمد بْن عبْدِ اللهِ بْنِ نميْرٍ قال :حدثنا أبِي، عنْ محمدِ بْنِ إِسْحاق، عنْ عبْدِ السلامِ، عنِ الزهْرِيّ، عنْ محمدِ بْنِ جبيْرِ بْنِ مطْعِمٍ، عنْ أبِيهِ، قال :قام رسول اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم بِالْخيْفِ مِنْ مِنًى، فقال " :نضر الله امْرأً سمع مقالتِي، فبلغها، فرب حامِلِ فِقْهٍ، غيْر فقِيهٍ، ورب حامِلِ فِقْهٍ إِلى منْ هو أفْقه مِنْه، ثلاثٌ لا يغِل عليْهِن قلْب مؤْمِنٍ :إِخْلاص الْعملِ لِلهِ، والنصِيحة لِولاةِ الْمسْلِمِين، ولزوم جماعتِهِمْ، فإِن دعْوتهمْ، تحِيط مِنْ ورائِهِمْ"[16]

– حدثنا ابْن أبِي عمر، قال :حدثنا سفْيان، عنْ عبْدِ الْملِكِ بْنِ عميْرٍ، عنْ عبْدِ الرحْمنِ بْنِ عبْدِ اللهِ بْنِ مسْعودٍ، يحدِّث عنْ أبِيهِ، عنِ النبِيِّ صلى الله عليْهِ وسلم قال» :نضر «الله امْرأً سمع مقالتِي فوعاها وحفِظها وبلغها، فرب حامِلِ فِقْهٍ إِلى منْ هو أفْقه مِنْه. ثلاثٌ لا يغِل عليْهِن قلْب مسْلِمٍ، إِخْلاص الْعملِ لِلهِ، مناصحة أئِمةِ الْمسْلِمِين، ولزوم جماعتِهِمْ، فإِن الدعْوة تحِيط مِنْ ورائِهِمْ[17].

هذا الدعاء لإنسان قام بالثلاثة، يحفظون السنن، سنن النبيﷺ بوعي وفهم ويقظة، ثم يبلغونها بأمانة.

قال ابن القيم: " ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفا؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا لمن سمع كلامه، ووعاه، وحفظه، وبلغه. وهذه هي مراتب العلم:

– أولها: سماعه.

– فإذا سمعه وعاه بقلبه؛ أي: عقله واستقر في قلبه، كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه، وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب، ولهذا كان الوعي والعقل قدرا زائدا على مجرد إدراك المعلوم.

– المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه، حتى لا ينساه فيذهب.

– المرتبة الرابعة: تبليغه وبثه في الأمة؛ ليحصل به ثمرته ومقصوده؛ فما لم يبلغ ويبث في الأمة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه، وهو معرض لذهابه، فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب، فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق.

فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه."[18]

رب حامل فقه الى من هو أفقه منه، اشارة مهمة الى التفاوت العقلي في الفهم والإدراك والفقه والتأويل بين البشر، فيحصل بذلك تفاضل في العلم بسبب تلك الاختلافات الموجودة بين الخلق .وكل ميسر لما خلق له، وتبليغ العلم هي مشاركة في هذه السيرورة العامة من تحكيم العقل، وفهم النقل وتفسير الواقع، وحل المعضلات والمشكلات ونوازل المجتمع بما تقتضيه الضوابط العامة التي غالبا مالايفقهها جل المكلفين لاختلاف الإدراك.

الحديث الخامس:

– حدّثنا أبو بكْرِ بْن أبِي شيْبة، حدّثنا عبْد اللهِ بْن إِدْرِيس، وأبو معاوِية، ووكِيعٌ ، عنِ الْأعْمشِ، عنْ عمارة بْنِ عميْرٍ الـ تّـيْمِيّ ، عنْ معْمرٍ، عنْ أبِي مسْعودٍ قال: كان رسول اللهِ صلّى الله عليْهِ وسلّم يمْسح مناكِبنا فِي الصّلاةِ ويقول: اسْتووا، ولا تخْتلِفوا فتخْتلِف لِيلِنِي مِنْكمْ أولو الْأحْلامِ والنّهى، ثمّ الّذِين يلونهمْ ثمّ الّذِين يلونهمْ .«قال أبو مسْعودٍ :فأنْتم الْيوْم أشدّ اخْتِلافًا[19].

"وقوله صلى الله عليه وسلم: " ليلنى منكم أولوا الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم "، الأحلام والنهى بمعنى وهى العقول، واحدها لأنه ينهى صاحبه عن الرذائل، وكذلك العقول تعقله.

خص – عليه السلام – ليليه فى الصلاة ذوو العقول والمعرفة [بقوله] وكذلك فى غيرها وهو حاكمهم، ليقربوا منه لاستخلافه إن احتاج إليهم، وللتبليغ لما سمعوه منه، والضبط لما يحدث عنه، والتنبيه على سهو إن اتفق منه، ووجدهم عن قرب لما يحتاجهم له، ولأنهم أحق بالتقدم على من سواهم وليقتدى بهم من بعدهم، ويتوصل بهم إليه فى مهمات الأمور، وكذلك ينبغى لسائر الأئمة الاقتداء بسيرته فى ذلك فى كل حال، من جموع الصلاة، ومجالس العلم، ومشاهد الذكر، ونواد التشاور، والرأى، ومعارك القتال، والحرب، وأن يكون الناس فى كل الأمور على طبقاتهم من المعرفة، والعلم، والدين، والعقل، والشرف، والسن"[20].

لاشك أن الصلاة خلفه صلى الله عليه وسلم شرف عظيم ومرتبة عليا، وأشدهم مقربة وأعلاهم مرتبة من يصلي في الصف الأول، وأن حضه وتحفيزه صلى الله عليه وسلم أولي النهى للتقدم للصف الأول إشارة دقيقة لعظم ذلك العقل ومكانته الفضلى في تحمل الرسالة، وفي تحقيق الاستخلاف، وفي تصدر الصلاة برمزيتها باعتبارها عماد الدين وأول مايسأل عنه المرء يوم القيامة.

هذه الرموز الهامة في هذا الحديث النبوي الشريف تتعاضد لتدل على شرف مكانة العقل التي حظي بها في الاسلام وتمكينه.

الحديث السادس:

– حدّثنا أبو بكْرِ بْن أبِي شيْبة، وعمْرٌو النّاقِد، كِلاهما عنِ الْأسْودِ بْنِ عامِرٍ، قال :أبو بكْرٍ، حدّثنا أسْود بْن عامِرٍ، حدّثنا حمّاد بْن سلمة، عنْ هِشامِ بْنِ عرْوة، عنْ أبِيهِ، عنْ عائِشة، وعنْ ثابِتٍ، عنْ أنسٍ، أنّ النّبِيّ صلّى الله عليْهِ وسلّم مرّ بِقوْمٍ يلقِّحون، فقال» :لوْ لمْ تفْعلوا لصلح «قال: فخرج شِيصًا، فمرّ بِهِمْ فقال» :ما لِنخْلِكمْ؟ «قالوا: قلْت كذا وكذا، قال» :أنْتمْ أعْلم بِأمْرِ دنْياكمْ»[21].

في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم "أنتم أعلم بأمر دنياكم قال العلماء قوله صلى الله عليه وسلم من رأيي أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع فأما ما قاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم ورآه شرعا يجب العمل به وليس إبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله مع أن لفظة الرأي إنما أتى بها عكرمة على المعنى لقوله في آخر الحديث قال عكرمة أو نحو هذا فلم يخبر بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم محققا قال العلماء ولم يكن هذا القول خبرا وإنما كان ظنا كما بينه في هذه الروايات قالوا ورأيه صلى الله عليه وسلم في أمور المعايش وظنه كغيره فلا يمتنع وقوع مثل هذا ولا نقص في ذلك وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها"[22].

"وقوله – عليه السلام – فى إنكار التذكير للنخل: لو لم تفعلوا لصلح وكان خيرًا، وما أظن يغنى ذلك شيئًا " فتركوه، فنقصت، فقال " إنما أنا بشر، وإنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذونى بالظن، فإذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا، فإنى لن أكذب على الله، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر" ، وفى الرواية الأخرى :فخرجت شيصًا، فقال: " أنتم أعلم بأمر دنياكم :" فمعنى قوله هنا: " من أمرى " يعنى فى أمر الدنيا، لا فيما رآه أو قاله من قبل نفسه فى اجتهاده فى الشرع والسير على القول بجواز الاجتهاد منه؛ لأن القسم الذى قد أمر بالأخذ به بقوله " من دينكم وعن الله" ، وهذا اللفظ الذى قال فيه " من رأى " إنما أدّى به عكرمة فى الحديث على المعنى لقوله آخر الحديث أو نحو هذا، فلم يأت به بلفظ النبى مخففاً فلا يحيل به من لا تحقيق عنده.

وقول النبى هاهنا للأنصار فى النخل ليس على وجه الخبر الذى يدخله الصدق والكذب فينزه النبى عن الحلف فيه، وإنما كان على طريق الرأى منه؛ ولذلك قال لهم " :إنما ظننت ظنًا، وأنتم أعلم بأمر دنياكم" ، وحكم الأنبياء وآراؤهم فى حكم أمور الدنيا حكم غيرهم من اعتقاد بعض الأمور على خلاف ما هى عليه، ولا وصم عليهم فى ذلك؛ إذ هممهم متعلقة بالآخرة والملأ الأعلى وأوامر ونواهيها وأمور الدنيا يضادها؛ بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون". [23]

وفي هذا الحديث النبوي الشريف دعوة لتحكيم العقل في الأمور البعيدة عن التشريع، ففي كل الأمور الدنيوية والعلمية المرء مدعو لتحفيز عقله وإعماله، ومراكمة معرفة علمية وتجربة حياتية تؤهله لتسيير حياته على أحسن مايرام، وهو مدخل حقيقي للتعرف على الله وملكوته وبيان عدله وفضله. فاستعمال العقل وتحكيمه في كل الأمور خير نتائجه وخيراته تفيض على أمور الدين والدنيا، وتورث العلم الذي لا يخفى على أحد مكانته البادية في دين الاسلام.

المطلب الثاني: تفاوت الناس في العقول

الحديث الأول:

– حدّثنا مسدّدٌ، قال :حدّثنا بِشْرٌ، قال :حدّثنا ابْن عوْنٍ، عنِ ابْنِ سِيرِين، عنْ عبْدِ الرّحْمنِ بْنِ أبِي بكْرة، عنْ أبِيهِ، ذكر النّبِيّ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم قعد على بعِيرِهِ، وأمْسك إِنْسانٌ بِخِطامِهِ – أوْ بِزِمامِهِ – قال : "أيّ يوْمٍ هذا"، فسكتْنا حتّى ظننّا أنّه سيسمّيهِ سِوى اسْمِهِ، قال : "أليْس يوْم النّحْرِ"، قلْنا: بلى، قال :" فأيّ شهْرٍ هذا" فسكتْنا حتّى ظننّا أنّه سيسمّيهِ بِغيْرِ اسْمِهِ، فقال : "أليْس بِذِي الحِجّة" قلْنا: بلى، قال: "فإنّ دِماءكمْ، وأمْوالكمْ، وأعْراضكمْ، بيْنكمْ حرامٌ، كحرْمةِ يوْمِكمْ هذا، فِي شهْرِكمْ هذا، فِي بلدِكمْ هذا، ليبلِّغِ الشّاهِد الغائِب، فإنّ الشّاهِد عسى أنْ يبلِّغ منْ هو أوْعى له مِنْه"[24]

قال ابن حجر: "قوله اللهم اشهد تقدم أنه أعاد ذلك في حديث بن عباس وإنما قال ذلك لأنه كان فرضا عليه أن يبلغ فأشهد الله على أنه أدى ما أوجبه عليه والمبلغ بفتح اللام أي رب شخص بلغه كلامي فكان أحفظ له وأفهم لمعناه من الذي نقله له قال المهلب فيه أنه يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم في العلم ما ليس لمن تقدمه إلا أن ذلك يكون في الأقل لأن رب موضوعة للتقليل قلت هي في الأصل كذلك إلا أنها استعملت في التكثير بحيث غلبت على الاستعمال الأول لكن يؤيد أن التقليل هنا مراد أنه وقع في رواية تقدمت في العلم بلفظ عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه وفي الحديث دلالة على جواز تحمل الحديث لمن لم يفهم معناه ولا فقهه ضبط ما يحدث به ويجوز وصفه بكونه من أهل العلم بذلك وفي الحديث من الفوائد أيضا وجوب تبليغ العلم على الكفاية وقد يتعين في حق بعض الناس وفيه تأكيد التحريم وتغليظه بأبلغ ممكن من تكرار ونحوه وفيه مشروعية ضرب المثل وإلحاق النظير بالنظير ليكون أوضح للسامع وإنما شبه حرمة الدم والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء ولا يرون هتك حرمتها ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب وإنما قدم السؤال عنها تذكارا لحرمتها وتقريرا لما ثبت في نفوسهم ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد"[25].

يأتي هذا الحديث في سياق الحديث المتقدم (الحديث الرابع) الدال على تفاضل العقل والقدرات الفكرية بين البشر، وتكامل الأدوار البشرية حسب سعة كل فرد على حدة، وقد زاد هذا الحديث السؤال الاستنكاري الذي طرحه الرسول صلى الله عليه وسلم مع معرفته

السابقة بالإجابة، وهي طريقته صلى الله عليه وسلم لتحفيز العقول وتنشيطها واسترعاء انتباهها، لما للسؤال من أهمية مركزية في سيرورة العلم والتبليغ والمعرفة، باعتباره محركا لعمليات التحليل والتدقيق والاسترجاع التي تقتضيها مراحل الوصول الى المعرفة الكاملة.

الحديث الثاني:

– حدّثنا محمّد بْن العلاءِ، قال :حدّثنا حمّاد بْن أسامة، عنْ بريْدِ بْنِ عبْدِ اللّهِ، عنْ أبِي بُرْدة، عنْ أبِي موسى، عنِ النّبِيّ صلّى الله عليْهِ وسلّم قال» :مثل ما بعثنِي اللّه بِهِ مِن الهدى والعِلْمِ، كمثلِ الغيْثِ الكثِيرِ أصاب أرْضًا، فكان مِنْها نقِيّةٌ، قبِلتِ الماء، فأنْبتتِ الكلأ والعشْب الكثِير، وكانتْ مِنْها أجادِب، أمْسكتِ الماء، فنفع اللّه بِها النّاس، فشربوا وسقوْا وزرعوا، وأصابتْ مِنْها طائِفةً أخْرى، إِنّما هِي قِيعانٌ لا تمْسِك ماءً ولا تنْبِت كلأً، فذلِك مثل منْ فقه فِي دِينِ اللّهِ، ونفعه ما بعثنِي اللّه بِهِ فعلِم وعلّم، ومثل منْ لمْ يرْفعْ بِذلِك ولمْ يقْبلْ هدى اللّهِ الّذِي أرْسِلْت بِهِ «قال أبو عبْدِ اللّهِ: قال إِسْحاق: وكان مِنْها طائِفةٌ قيّلتِ الماء، قاعٌ يعْلوه الماء، والصّفْصف المسْتوِي مِن الأرْضِ[26]

جاء في مصابيح الجامع: "وتشبيه الهدى والعلم بالغيث المذكور تشبيه مفرد بمركب، إذ الهدى مفرد، وكذا العلم، والمشبه به، وهو غيث كثير أصاب أرضًا، منها ما قبله فأنبت، ومنها ما أمسكه خاصة، ومنها ما لم ينبت، ولم يمسك، مركبٌ من عدة أمور كما تراه، وشبه من انتفع بالعلم ونفع به بأرض قبلت الماء، وأنبتت الكلأ والعشب، وهو تمثيل؛ لأن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول المحل لما يرد عليه من الخير، مع ظهور آثاره وانتشارها على وجهٍ عامّ الثمرة، متعدّي النفع، ولا يخفى أن هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة، ويجوز أن يشبه انتفاعه بقبول الأرض للماء، ونفعه المتعدي بإنباتها الكلأ والعشب، والأول أفْحل وأجزل"[27].

ان الحديث هنا يقسم عطاءه صلى الله عليه وسلم الى كافة البشر الى قسمين: الهدى والعلم، ويقسم متلقيها من البشر الى ثلاثة أرض خصبة، أرض جدباء وقيعان.

فالقسم الثاني من بعثته صلى الله عليه وسلم، أنه بعث بالمعرفة الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا العلم الذي يقدمه الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتلقاه البشر على نفس المستوى، فمن الناس من يتلقى هذا العلم فيتأمله ويعمل به عقله وقلبه ويشغل به جوارحه، فيثمر ويزهر كيانه بأكمله بل ويثمر أطايب يقطفها كل من يلقاه، اذ يصبح منارة لنشر ذلك العلم وتبليغه الخلق.

ومنهم من يكون متعطشا لزلال العلم فيرتوي منه، فيجيبه عن تساؤلاته واستغراباته وتأملاته، الا أن علمه يتوقف عند هذا الحد فيكتفي بما تعلم دونما مزيد من الاسئلة، فلا يحرج عقله أو يزيد في انهاكه ليحقق مستوى إدراك أعلى ويتصدى ويتصدر لحمل العلم الى غيره وتأويله.

واخر المراتب هو العقل الفارغ الذي شغل بسفاسف الأمور حتى لم يعد له متسع لإدراك الحقيقة الوجودية التي لأجلها خلق، فيتلقى ذلك العلم بهمة دانية فلا يخرج من حاله بل لا يبارحه وهو يشغل تفكيره وحواسه بالأمور التي لا يرجى منها خير.

الحديث الثالث:

– "حدّثنا محْمود بْن غيْلان قال :حدّثنا أبو داود قال: حدّثنا شعْبة، عنْ سِماكِ بْنِ حرْبٍ، قال :سمِعْت عبْد الرّحْمنِ بْن عبْدِ اللّهِ بْنِ مسْعودٍ، يحدِّث عنْ أبِيهِ، قال :سمِعْت النّبِيّ صلّى اللّه عليْهِ وسلّم يقول: 'نضّر اللّه امْرأً سمِع مِنّا ش يْئًا فبلّغه كما سمِع، فربّ مبلّغٍ مِنْ سامِعٍ'"[28]

–"حدّثنا محمّد بْن بشّارٍ، ومحمّد بْن الْوليدِ، قالا :حدّثنا محمّد بْن جعْفرٍ قال: حدّثنا شعْبة، عنْ سِماكٍ، عنْ عبْدِ الرّحْمنِ بْنِ عبْدِ اللّهِ، عنْ أبِيهِ، أنّ النّبِيّ صلّى الله عليْهِ وسلّم قال : ''نضّر اللّه امْرأً سمِع مِنّا حدِيثًا فبلّغه، فربّ مبلّغٍ أحْفظ مِنْ سامِعٍ''"[29]

إن النضارة والبهاء هنا أن تسمع العلم بقلب وعقل سليمين حاضرين، فتؤتي السماع حقه، ثم تعمل على ابلاغه بجوارح وعقل حاضر متأهب لتحمل الرسالة وابلاغها على النحو الأكمل، مساهمة في دورة العلم الحضارية التي يشارك فيها كل المسلمين حسب طاقاتهم وقدراتهم، كل من موقعه وحسب طاقة استيعابه، فقد يكون نصيب عقلك من الأمر مجرد الحفظ والتوصيل، وهي مهمة عظيمة لا

يستهان بها، في حين أن عقل شخص اخر نصيبه تحليل وفهم وتأويل وبناء صرح علمي الى أن يرث الله هذه الدنيا أو أن يقيض الله لذاك الأمر رجلا اخر يزيد من هذا البناء ويحسنه، فيكون بذلك بناء على الأسس التي أنشأها غيره، وقد يمتلك العقل كل هذه المقومات الا أنه لم يوفق الى استثمارها في الخير وانما شغلها بمشاغل ابليس من التشويش على المسلمين باثارة الشبهات.

الحديث الرابع

– "حدّثنا إِسْحاق، أخْبرنا عبْد الصّمدِ، حدّثنا عبْد اللّهِ بْن المثنّى، حدّثنا ثمامة بْن عبْدِ اللّهِ، عنْ أنسٍ رضِي اللّه عنْه، أنّ رسول اللّهِ صلّى الله عليْهِ وسلّم كان إِذا سلّم سلّم ثلاثًا، وإِذا تكلّم بِكلِمةٍ أعادها ثلاثًا.

وأنّه صلّى اللّه عليْهِ وسلّم أعاد لفْظة اغْسِلْه مرّةً ثمّ مرّةً على عادتِهِ أنّه كان إِذا تكلم بِكلِمة أعادها ثلاثًا لِتفْهم عنْه"[30].

قال ابن حجر: "قوله أعادها ثلاثا قد بين المراد بذلك في نفس الحديث بقوله حتى تفهم عنه وللترمذي والحاكم في المستدرك حتى تعقل عنه"[31].

إن اعادته صلى الله عليه وسلم للكلمة ثلاثا، هي منهج تعليمي مرده اختلاف المستويات العقلية والمراتب الإدراكية بين كافة البشر، فقد يلتقط اللبيب الفطن الكلام من أول مرة بل حتى قبل الانتهاء منه، في حين أنه يحتاج شخص آخر الى إعادة الكلام مرتين ليفهمه ويستوعبه. بينما يتأخر ثالث عن الفهم مرتبة أدنى فيحتاج لتكرار الكلام ثلاث مرات حتى يفهم المقصود.

الحديث الخامس:

– "حدّثنا عبْد العزِيزِ بْن عبْدِ اللّهِ، حدّثنا إِبْراهِيم بْن سعْدٍ، عنْ صالِحٍ، عنِ ابْنِ شِهابٍ، قال :أخْبرنِي عرْوة بْن الزّبيْرِ، أنّ زيْنب بِنْت أبِي سلمة، أخْبرتْه أنّ أمّ سلمة زوْج النّبِيّ صلّى الله عليْهِ وسلّم، أخْبرتْها، عنْ رسولِ اللّهِ صلّى الله عليْهِ وسلّم، أنّه سمِع خصومةً بِباب حجْرتِهِ فخرج إِلَيْهِمْ، فقال : "إِنّما أنا بشرٌ، وإِنّه يأْتِينِي الخصْم، فلعلّ بعْضكمْ أنْ يكون أبْلغ مِنْ بعْضٍ، فأحْسِب أنّه صادِقٌ فأقْضِي له بِذلِك، فمنْ قضيْت له بِحقّ مسْلِمٍ، فإِنّما هِي قِطْعةٌ مِن النّارِ فلْيأْخذْها أوْ لِيتْركْها"[32].

جاء في التوضيح لشرح الجامع الصحيح: "الحديث دال على أن القوي على البيان البليغ في تأدية الحجة قد يغلب بالباطل من أجل بيانه فيقضي له على خصمه، وليس ذلك يحل ما حرم عليه لقوله: "فإنما هي قطعة من النار" أي: يوجبها في الآخرة إلا أن يقتص لصاحبها منه أو يعوضه الله منه، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وتدْلوا بِها إِلى الْحكّامِ لِتاكلوا فرِيقا مِّن امْوٰلِ الّناسِ بِالاِثْمِ وأنتمْ تعْلمونَ 187﴾ [البقرة: 187] "[33].

إن حكم عقل القاضي على الأمر يتم بناء على ماقدم بين يديه من دلائل قد يشوبها التدليس، وفي هذا الأمر إشارة الى أن العقل والفطنة والذكاء ليس خيرا كله إذا لم يلجم بلجام الشرع والضمير وخشية الله. فالهبات التي حبانا الله بها كالعقل أمرنا أن نراعي فيها حدود الله، وألا نجعلها سبيلا للطغيان والتجبر ووسيلة للمكر والخديعة.

المطلب الثالث: مزيلات العقل

الحديث الأول:

– "حدّثنِي أبو الرّبِيعِ سلِيْمان بْن داود الْعتكِيّ، حدّثنا حمّادٌ يعْنِي ابْن زيْدٍ، أخْبرنا ثابِتٌ، عنْ أنسِ بْنِ مالِكٍ، قال :كنْت ساقِي الْقوْمِ يوْم حرّمتِ الْخمْر فِي بيْتِ أبِي طلْحة، وما شرابهمْ إِلّا الْفضِيخ :الْبسْر والتّمْر، فإِذا منادٍ ينادِي، فقال :اخْرجْ فانْظرْ، فخرجْت، فإِذا منادٍ ينادِي» :ألا إِنّ الْخمْر قدْ حرّمتْ«، قال :فجرتْ فِي سِككِ الْمدِينةِ، فقال لِي أبو طلْحة :اخْرجْ فاهْرِقْها، فهرقْتها، فقالوا – أوْ قال بعْضهمْ – :قتِل فلانٌ، قتِل فلانٌ، وهِي فِي بطونِهِمْ، –قال :فلا أدْرِي هو مِنْ حدِيثِ أنسٍ– ، فأنْزل الله عزّ وجلّ :﴿ليْس علي الذِين ءامنوا وعمِلوا الصّٰلِحٰتِ جناحٌ فِيما طعِموا إِذا ما اتّقوا وّءامنوا وعمِلوا الصّٰلِحٰتِ﴾ [المائدة: 95] "[34]

"الحديث دليل على أن الخمر تطلق على الشراب المسكر سواء كان من العنب أم من غير العنب، فالخمر اسم جنس لكل ما يسكر، وإليه ذهب الجميع إلا الحنفية فإنهم ادعوا أن الخمر حقيقة في ماء العنب، مجاز في غيره، فيحرم عندهم خمر العنب مطلقا، ولا يحرم من غير العنب إلا ما بلغ حد الإسكار، فيجوز أن يشرب من المسكر قدرا لا يسكر، ويلزمهم على قولهم هذا، الجمع بين الحقيقة

والمجاز في أحاديث فيها بيان أن الخمر من خمسة، وهم لا يقولون بالجمع بينهما، والحق أن الخمر حقيقة شرعية في جميع لثبوت حديث "كل مسكر خمر". فيحرم قليل المسكر وكثيره من كل المسكرات، سواء أسكر ذلك القليل أم لا"[35].

قال القاضي عياض: علة تحريم الخمر كونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتوقع العداوة والبغضاء على حسب ما قال الله عز وجل :﴿إِنّما يرِيد الشّيْطٰن أنْ يّوقِع بيْنكم الْعدٰوة والْبغْضاء فِـے اِلْخمْرِ والْميْسِرِ ويصدّكمْ عن ذِكْرِ اِللّهِ وعنِ اِلصّلٰوةِۖ﴾ [المائدة: 93] وهذا المعنى بعينه موجود فى كل مسكر على حد سواء، لا تفاضل بين الأشربة فيه، فيجب أن يكون حكم جميعها واحداً.

فإن قيل :إنما يتوقع هذا فى الإسكار المغير للعقل، وتلك حالة اتفق الجميع على منعها، قلنا :قد اتفق الجميع على منع عصير العنب وإن لم يسكر، وعلل البارى – سبحانه – التحريم بما ذكرناه، فإذا كان ما سواه فى معناه فيجب أن يجرى فى الحكم مجراه، وصار التحريم للجنس، وعلل بما يحصل من الجنس على الجملة، وهذا وجه صحيح. هذا مأخذ التعليل من تنبيه الشرع، وتلقى التعليل من سياق التنزيل أولى وآكد من سائر ما يتعلق به فى هذا النوع"[36].

إن تحريم الخمر جاء كما لا يخفى على علم أغلب المسلمين في تدرج ومراعاة لنفوس الناس، واقتلاع عاداتهم بشكل لايشق عليهم، ولم يكتفي الاسلام بتحريمه فحسب وانما بين الحكمة وراء ذلك وحرم كل الطرق الموصلة اليه، مما يجعل كل مسلم أو غير مسلم يقتنع بحكمة الاسلام في تحريمه ومنعه، وذلك لقوة الحجة وسطوع حكمتها وعقلانيتها. فالخمر يخمر العقل ويغطيه ويحجبه، فيصير الإنسان بمرتبة الحيوان الذي لا تسوقه الا غرائزه، لادين يتبعه ولاضوابط تجزره ولاقيم تقوده أو تردعه، يهيم في الأرض مفسدا ومخربا، فيتحول المجتمع الى مجتمع غاب لا قانون فيه فنتدنى في رتب الحضارة ونتخلى عن آدميتنا.

الحديث الثاني:

– "حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا يحْيى، عنْ أبِي حيّان، حدّثنا عامِرٌ، عنِ ابْنِ عمر رضِي اللّه عنْهما :قام عمر على المِنْبرِ، فقال " :أمّا بعْد، نزل تحْرِيم الخمْرِ وهِي مِنْ خمْسةٍ :العِنبِ والتّمْرِ والعسلِ والحِنْطةِ والشّعِيرِ، والخمْر ما خامر العقْل"[37].

قال ابن حجر: " والخمر ما خامر العقل أي غطاه أو خالطه فلم يتركه على حاله وهو من مجاز التشبيه والعقل هو آلة التمييز فلذلك حرم ما غطاه أو غيره لأن بذلك يزول الإدراك الذي طلبه الله من عباده ليقوموا بحقوقه قال الكرماني هذا تعريف بحسب اللغة وأما بحسب العرف فهو ما يخامر العقل من عصير العنب خاصة كذا قال وفيه نظر لأن عمر ليس في مقام تعريف اللغة بل هو في مقام تعريف الحكم الشرعي فكأنه قال الخمر الذي وقع تحريمه في لسان الشرع هو ما خامر العقل على أن عند أهل اللغة اختلافا في ذلك كما قدمته ولو سلم أن الخمر في اللغة يختص بالمتخذ من العنب فالاعتبار بالحقيقة الشرعية وقد تواردت الأحاديث على أن المسكر من المتخذ من غير العنب يسمى خمرا والحقيقة الشرعية مقدمة على اللغوية" [38].

المطلب الرابع: الزيادة في العقل

– "حدّثناه أبو النّضْرِ الْفقِيه، وأبو الْحسنِ الْعنزِيّ، قالا :ثنا عثْمان بْن سعِيدٍ الدّارِمِيّ، ثنا عبْد اللّهِ بْن صالِحٍ الْمِصْرِيّ، ثنا عطّاف بْن خالِدٍ، عنْ نافِعٍ، أنّ عبْد اللّهِ بْن عمر، رضِي اللّه عنْهما قال له :يا نافِع تبيّغ بِي الدّم فأْتِنِي بِحجّامٍ لا يكون شيْخًا كبِيرًا ولا غلامًا صغِيرًا فإِنِّي سمِعْت رسول اللّهِ صلّى الله عليْهِ وسلّم يقول : "الْحِجامة على الرِّيقِ أمْثل وفِيها شِفاءٌ وبركةٌ، وهِي تزِيد فِي الْعقْلِ وتزِيد فِي الْحِفْظِ وتزِيد الْحافِظ حِفْظًا فمنْ كان محْتجِمًا على اسْمِ اللّهِ فلْيحْتجِمْ يوْم الْخمِيسِ واجْتنِبوا الْحِجامة يوْم الْجمعةِ ويوْم السّبْتِ ويوْم الْأحدِ، واحْتجِموا يوْم الِاثْنيْنِ ويوْم الثّلاثاءِ فإِنّه الْيوْم الّذِي صرف اللّه عنْ أيّوب فِيهِ الْبلاء، واجْتنِبوا الْحِجامة يوْم الْأرْبِعاءِ، فإِنّه الّذِي اللّه أيّوب فِيهِ بِالْبلاءِ وما يبْدو جذامٌ ولا برصٌ إِلّا فِي يوْمِ الْأرْبِعاءِ أوْ فِي لِيْلةِ الْأرْبِعاءِ"[39].

– حدّثنا سوِيْد بْن سعِيدٍ، حدّثنا عثْمان بْن مطرٍ، عنْ الْحسنِ بْنِ أبِي جعْفرٍ، عنْ محمّدِ بْنِ جحادة، عنْ نافِعٍ عنْ ابْنِ عمر، قال :يا نافِع، قدْ تبيّغ بِي الدّم، فالْتمِسْ لِي حجّامًا، واجْعلْه رفِيقًا إِنْ اسْتطعْت، ولا تجْعلْه شيْخًا كبِيرًا ولا صبِيًّا صغِيرًا، فإِنِّي سمِعْت رسول اللّهِ – صلّى اللّه عليْهِ وسلّم – يقول" :الْحِجامة على الرِّيقِ أمْثل، وفِيهِ شِفاءٌ وبركةٌ، وتزِيد فِي الْعقْلِ وفِي الْحِفْظِ، فاحْتجِموا على بركةِ اللّهِ

يوْم الْخمِيسِ، واجْتنِبوا الْحِجامة يوْم الْأرْبِعاءِ والْجمعةِ والسّبْتِ ويوْم الْأحدِ، تحرّيًا، واحْتجِموا يوْم الاثْنيْنِ والثّلاثاءِ، فإنّه الْيوْم الّذِي اللّه فِيهِ أيّوب مِنْ الْبلاءِ، وضربه بِالْبلاءِ يوْم الْأرْبِعاءِ، فإنّه لا يبْدو جذامٌ ولا برصٌ إلّا يوْم الْأرْبِعاءِ، ولَيْلة الْأرْبِعاءِ"[40] .

لقد دعا الإسلام لحفظ العقل بترك مايضره كالخمر والمخدرات وغيرها، وفي المقابل دعا لما ينميه ويقويه ويحفظه من قبيل التأمل والتعلم والتدبر، وجعل أيضا وسائل مادية تيسر الأمر وتعين عليه، من قبيل الحجامة التي تزيد الحفظ وقوة العقل، لدورها في الوقابة من بعض الأمراض وعلاج البعض الاخر، باعتبارها تخبص الجسم من الشوارد الحرة وتطرد الدم السموم عبر الدم الفاسد، فتسمح للدورة الدموية بالتجدد مما ينعش الجسد ويقوي وظائفه، وكما أن الجسم السليم في العقل السليم.فثمرة هذه الحجامة هي صفاء الذهن وحضور العقل.

المطلب الخامس: عقل المرأة

– "حدّثنا سعِيد بْن أبِي مرْيم، قال :أخْبرنا محمّد بْن جعْفرٍ، قال :أخْبرنِي زيْدٌ هو ابْن أسْلم، عنْ عِياضِ بْنِ عبْدِ اللّهِ، عنْ أبِي سعِيدٍ الخدْرِيّ، قال :خرج رسول اللّهِ صلّى الله عليْهِ وسلّم فِي أضْحى أوْ فِطْرٍ إلى المصلّى، فمرّ على النِّساءِ، فقال: يا معْشر النِّساءِ تصدّقْن فإنِّي أرِيتكنّ أكْثر أهْلِ النّارِ فقلْن: وبِم يا رسول اللّهِ؟ قال: تكْثِرْن اللّعْن، وتكْفرْن العشِير، ما رأيْت مِنْ ناقِصاتِ عقْلٍ ودِينٍ أذْهب لِلبِّ الرّجلِ الحازِمِ مِنْ إحْداكنّ، قلْن :وما نقْصان دِيننا وعقْلِنا يا رسول اللّهِ؟ قال: أليْس شهادة المرْأةِ مِثْل نِصْفِ شهادةِ الرّجلِ قلْن: بلى، قال: فذلِك مِنْ نقْصانِ عقْلِها، أليْس إذا حاضتْ لمْ تصلِّ ولمْ تصمْ قلْن: بلى، قال: فذلِك مِنْ نقْصانِ دِينِها"[41].

إن هذا الحديث لا يدل على نقضان عقلها وانما على زيادة عاطفتها مما يجعلها تتفوق وتزيد على حدة استخدام العقل، فالأصل أن العاطفة لا تناقض العقل ولا تتأخر دونه في المرتبة، وانما تكامل العقل والعاطفة هو مايحقق التوازن النفسي والعقلي. فنقصان عقل هو نقصان كمي وليس معنوي، فالمعلوم أن وزن دماغ المرأة ينقص بنسبة تتروح بين عشرة الى خمسة عشر بالمائة عن دماغ الرجل، مما يجعل عدد خلايا دماغ المرأة أقل و تركيبه مختلف، لأن المرأة تتميز بمراكز عاطفية بالدماغ تشتغل أفضل من الرجل.

وعموما في صيغة الحديث جاءت في معرض التعجب من مكانة المرأة وقدرتها على التأثير في الرجال وسلب ألبابهم، رغم ذلك النقص الكمي الذي اتسمت به، مما قد يجعلها قادرة على تسيير ذلك العقل الذي يفترض أن يفوقها وعلى توجيهه.

كما أن الأسرة تتشكل من نواة أصلها من ذكر وأنثى، فتواجدهما معا هو ما يضمن التوازن النفسي والعقلي بتكامل دوريهما، فلا يطغى العقل بجفافه على العاطفة، ولا تتغلب العاطفة بهلاميتها على العقل. وإنما المطلوب حضور كل واحد منهما في الوقت المناسب وأن يهذب كل منهما الآخر عند الضرورة.

المبحث الثالث: تعامل الأئمة مع الحديث النبوي

ولإمعان النظر في مسلك الأئمة في تعاملهم مع الأحاديث النبوية الشريفة اخترت: الإمام أبو حنيفة والإمام مالك.

المطلب الأول: الإمام أبو حنيفة

"كان أبو حنيفة يتشدد في قبول الأخبار، ويشترط لذلك شروطا صعبة، نظرا لانتشار الوضع في الحديث، وكان العراق في عصره مصدر الحركات الفكرية والثورية في العالم الإسلامي، ومن ثم كان مصدرا خصبا للوضع، ومرتعا سهلا للوضاعين، مما دعا أبا حنيفة إلى التثبت والاحتياط، فلم يقبل إلا الأحاديث المشهورة الفاشية في أيدي الثقات، وهو في ذلك يذهب إلى أوسع مما ذهب المحدثون في الاحتياط والتشدد، مما دعاه إلى تضعيف أحاديث هي عندهم صحيحة مقبولة.

وكان من جهة أخرى يذهب إلى الاحتجاج بالمرسل إذا كان الذي أرسله ثقة، خلافا لما ذهب إليه جمهور المحدثين، مما جعله يستدل بأحاديث هي عندهم ضعيفة لا يعمل بها.

ونتيجة لتضييق أبي حنيفة من دائرة العمل بالحديث في الحدود التي رسمها واطمأن إليها، اضطر إلى القياس وإعمال الرأي، وقد آتاه الله فيه موهبة عجيبة فذة لا مثيل لها، ولا ريب أن استعماله القياس إلى مدى واسع، باعد الشقة بينه وبين أهل الحديث، كما باعد بينه وبين بعض الفقهاء الذين لا يستعملون القياس إلا في نطاق ضيق.

كان أبو حنيفة دقيق المسلك في الاستنباط دقة عجيبة بعيدة المدى قادرا على تقليب وجوه الرأي في كل مسألة لدرجة تذهل وتدهش."[42].

"أخرج ابن أبي العوام عن إبراهيم بن أحمد بن سهل عن القاسم بن غسان عن أبيه عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن، قال: كان أبو حنيفة قد حمل إلى "بغداد"، فاجتمع أصحابه جميعا، وفيهم أبو يوسف، وزفر، وأسد بن عمرو، وعامة الفقهاء المتقدمين من أصحابه، فعلموا مسألة أيدوها بالحجاج، وتنوقوا في تقويمها، وقالوا: نسأل أبا حنيفة، أول ما يقدم، فلما قدم أبو حنيفة، كان أول مسألة سئل عنها تلك المسألة، فأجابهم بغير ما عندهم، فصاحوا به من نواحي الحلقة، يا أبا حنيفة! بلدتك الغربة، فقال لهم: رفقا رفقا، ماذا تقولون؟ قالوا: ليس هكذا القول، قال بحجة أم بغير حجة، قالوا: بل بحجة، قال: هاتوا، فناظرهم، فغلبهم بالحجج، حتى ردهم إلى قوله، وأذعنوا أن الخطأ منهم، فقال لهم: أعرفتم الآن، قالوا: نعم، قال: فما تقولون فيمن يزعم أن قولكم هو الصواب وأن هذا القول خطأ؟ قالوا: لا يكون ذاك، قد صح هذا القول، فناظرهم، حتى ردهم عن هذا القول، فقالوا: يا أبا حنيفة! ظلمتنا، والصواب كان معنا، قال: فما تقولون فيمن يزعم أن هذا القول خطأ، والأول خطأ، والصواب في قول ثالث، فقالوا: هذا ما لا يكون، قال: فاستمعوا، واخترع قولا ثالثا، وناظرهم عليه، حتى ردهم إليه، فأذعنوا، وقالوا: يا أبا حنيفة! علمنا، قال: الصواب هو القول الأول، الذي أجبتكم به لعلة كذا وكذا، وهذه المسألة لا تخرج عن هذه الثلاثة الأنحاء، ولكل منها وجه في الفقه ومذهب، وهذا الصواب، فخذوه، وارفضوا ما سواه"[43].

إن أبا حنيفة أوتي نظرا عقليا "وقدرة عجيبة على تنقيب وجوه الرأي في مسألة واحدة، والقدرة على الدفاع عن كل رأي فيها، هو بلا شك من أدق الناس نظرا وأعمقهم استنباطا للنصوص، وأقواهم حجة وبيانا، حتى لا يكون مغاليا فيه مثل الإمام مالك الذي قال عنه: «هذا رجل لو أراد أن يقيم الدليل على أن هذه السارية من ذهب لاستطاع».

فلا بدع إذا كان في استنباطه ما يخالف رأي غيره من العلماء ورأي الجمهور من أهل الحديث الذين كانوا يقفون غالبا عند ظواهر النصوص، ويكرهون تعليلها ورد بعضها إلى بعض" [44].

المطلب الثاني: الإمام مالك

يعد الإمام مالك من المحدثين الكبار الذين جمعوا بين الرواية والدراية، وبين الفقه والحديث.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة عنه: "بلغ مالك رضي الله عنه من علم السنة الذروة، وبلغ من الفقه درجة صار فيها فقيه أهل الحجاز الأوحد، وبذلك جمع بين الحديث والفقه، فهو في المحديث إمام، ويعد أول من دون الحديث، وكتابه الموطأ أول صحيح مجموع مدون للحديث. وهو في الفقه الفقيه الثاقب النظر الذي يجمع فقهه بين الكمال الديني، ومراعاة مصالح الناس"[45].

وقد نقل القاضي عياض أقوال العلماء في عقل مالك وسمته، قال رحمه الله: "قالوا كان ربيعة يقول إذا جاء مالك قد جاء العاقل.

وقال ابن مهدي لقيت أربعة: مالكا وسفيان وشعبة وابن المبارك، فكان مالك أشدهم عقلا.

وقال: ما رأت عيناي أحدا أهيب من هيبة مالك ولا أتم عقلا ولا أشد تقوى ولا أوفر دماغا من مالك.

وقال هارون الرشيد عنه ما رأيت أعقل منه"[46].

عرف مالك – رحمه الله – بالفقه والحديث والعقل كما تقدم وغيرها من الخصال، وكانت أصول مذهبه هي الأصول المعتبرة لدى الأئمة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وزاد عليها: عمل أهل المدينة والمصالح المرسلة وغيرها، وعمل أهل المدينة أو إجماع أهل المدينة، هو ما سأتحدث عنه وأتناول فيه ما يرتبط بموضوع بحثي، وهو عمل أهل المدينة المنقول بطريق الاجتهاد.

فعمل أهل المدينة حجة عند المالكية، وهو نوعان: ما كان طريقه النقل، وما كان طريقه الاجتهاد.

قال القاضي عياض: "فاعلموا أن إجماع أهل المدينة على ضربين، ضرب من طريق النقل والحكاية الذي تؤثره الكافة عن الكافة وعملت به عملا لا يخفى ونقله الجمهور عن الجمهور عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الضرب منقسم على أربعة أنواع، أولها ما نقل شرعا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم من قول كالصاع والمد، وانه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ منهم بذلك وفطرتهم، وكالأذان والإقامة وترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والوقوف (والأحباس) فتقلهم لهذه الأمور من قوله وفعله كنقلهم موضع قبره ومسجده ومنبره ومدينته وغير ذلك مما علم ضرورة من أحواله وسيره وصفة صلاته من عدد ركعاتها وسجداتها وأشباه هذا، أو نقل إقراره عليه السلام لما شاهده منهم ولم ينقل عنه إنكاره كنقل عهده الرقيق وشبه ذلك، أو نقل تركه لأمور وأحكام لم يلزمهم إياها مع شهرتها لديهم وظهورها فيهم كتركه أخذ الزكاة من الخضروات مع علمه عليه السلام بكونها عندهم كثيرة، فهذا النوع من إجماعهم في هذه الوجوه حجة يلزم المصير إليه ويترك ما خالفه من خبر واحد أو قياس، فإن هذا النقل محقق معلوم موجب للعلم القطعي فلا يترك لما توجبه غلبة الظنون، وإلى هذا رجع أبو يوسف وغيره من المخالفين ممن ناظر مالكا وغيره من أهل المدينة في مسألة الأوقاف والمد والصاع حين شاهد هذا النقل وتحققه، ولا يجب لمنصف أن ينكر الحجة هذا، وهذا الذي تكلم عليه مالك عن أكثر شيوخنا ولا خلاف في صحة هذا الطريق...

النوع الثاني: إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال، فهذا النوع اختلف فيه أصحابنا فذهب معظمهم إلى أنه ليس بحجة ولا فيه ترجيح وهذا قول كبراء البغداديين منهم ابن بكير وأبو يعقوب الرازي وأبو الحسن بن المنتاب، وأبو العباس الطيالسي، وأبو الفرج، والقاضي أبو بكر الأبهري وأبو التمام، وأبو الحسن بن القصار.

وذهب بعض المالكية إلى إن هذا النوع حجة كالنوع الأول وحكوه عن مالك.

قال القاضي أبو نصر: وعليه يدل كلام أحمد بن المعذل وأبي معصب وإليه ذهب القاضي أبو الحسين بن أبي عمر من البغداديين، وجماعة من المغاربة من أصحابنا ورآه مقدما على خبر الواحد والقياس"[47].

وقال ابن رشد الجد: "ولو حصل إجماعهم من طريق القياس لوجب أن يقدم على قياس غيرهم؛ لأنهم وإن شاركوا أهل الأمصار في مقامات العلم فقد زادوا عليهم بمشاهدة الوحي وترتيب الشريعة ووضع الأمور مواضعها والعلم بناسخ القرآن من منسوخه واستقر عليه آخر أمر النبي صلى الله عليه وسلم"[48].

خاتمة

إن ما أردته من بحثي "أحاديث الرسول في تحكيم العقول" هو أنّني أريد أن يؤسّس الفكر الإسلامي من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنعطي الشخصية الإسلامية القاعدة التي ينطلق من خلالها لتواجه كلّ الأفكار وكل التيارات، فأن تكون مسلماً يعني أن تحكم عقلك فيما يمكن للعقل أن يدركه، لتحقِّق الامتداد للعلم وللإبداع، وأن يكون القرآن والسنة هو القاعدة التي ينطلق منها ويستند إليها، فكل ما في القرآن الكريم والسنة النبوية هو حركة ومفاهيم قيّمة لا بد للإنسان أن يتدبرها من أجل أن ينمو عقله ويكبر.

وفي نهاية هذا البحث أشير إلى باقة من النتائج التي توصلت إليها والتذكير ببعض كبريات القضايا التي تتطلب دراسة وبذلا:

أولا: إنّ العقل في المفهوم الإسلاميّ، ليس حركة تجريدية في الفكر وإنّما هو حركة ينطلق بها الفكر في العمل ليصل إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى، لتكون حياة الإنسان عقلاً في طاعة الله ولتكون نهايته في نعيم الله، وفي ذلك نفهم كيف نعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاهيم الإسلامية الأصيلة لتكون لنا زاداً في كل حياتنا مع أنفسنا ومع الله ومع الآخرين.

ثانيا: إن الإنسان المسلم لا بدّ أن ينطلق من عقله لمواجهة القضايا العامّة فيما يمكن أن يدركه عقله، وأن يرجع إلى النبيّ فيما أوحى الله إليه وفيما أراد أن يبيّنه فيما لا يملك العقل الخوض فيه.

ثالثا: إن الله سبحانه وتعالى لا يريد للإنسان أن يجمّد عقله عندما ينطلق في الحياة، بل يريده أن يفكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يملك أعلى درجات العلم والعقل.

رابعا: إن رسول الله يحدّث الناس عن العقل بما يجعلهم في مستوى إيمانيّ يتحسّسون معه مسؤوليتهم في إغنائه وتنميته، وفي تحريكه في حياتهم العملية، وحياتهم الفكرية.

خامسا: إن عقول الناس تختلف، لأنّ الله سبحانه وتعالى نوّع الطاقات الإنسانية في طبيعتها وفي حجمها من ناحية سرعة التلقي أو بطئه، وعمق التأمّل أو سطحيّته، وهكذا في الجوانب العلمية والثقافية المتنوّعة التي يتعلّمها الإنسان. والسنة النبوية راعت التفاوت بين الناس في العقل.

سادسا: إنني في بحثي حاولت أنْ أستنطق السنّة النبوية الشريفة في نظرة الإسلام إلى العقل؛ هذا العقل الذي أهملناه وأقبلنا على الغريزة،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

☆ ☆ ☆

الهوامش:

[1] ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ.)، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1998م، ص: 27- 28.

[2] رواه العقيلي في الضعفاء الكبير، تحقيق:عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، 175/3، قال الدارقطني: هذا حديث غريب من حديث سفيان الثوري، عن الفضل بن عثمان، عن أبي هريرة، تفرد به سيف بن محمد عنه، ولا نعلم حدث به عن سيف غير الحسن بن عرفة. ينظر: الأفراد، الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تعليق: جابر بن عبد الله السريع، بدون ناشر، ١٤٢٩ هـ.، ص: 133.

[3] المنار المنيف في الصحيح والضعيف، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، المحقق: يحيى بن عبد الله الثمالي، راجعه: أنيس بن أحمد بن طاهر الأندُونيسي - يحيى بن عبد الله الشَّهري، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م، 60/1-61.

[4] مقدمات الإمام الكوثري، ينظر تقديمه لكتاب: العقل وفضله، لابن أبي الدنيا، دار الثريا، دمشق- سوريا، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م، ص: 364

[5] سبق تخريجه

[6] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ.)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م، 18/ 337-338.

[7] تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ - ٧٧١ هـ.)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ.)، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد ، دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، 248/1.

[8] أخرجه البخاري، كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم الحديث:71

[9] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م. ج 3 ص 346.

[10] رواه البخاري كتاب الزكاة، باب انفاق المال في حقه، رقم الحديث: 1409.

[11] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦ هـ.)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 61/25.

[12] تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، تأليف مصطفى عبد الرازق، تقديم: محمد حلمي عبد الوهاب. مكتبة الاسكندرية 2010م.ص 160.

[13] رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، رقم الحديث:2477.

[14] رواه الامام أحمد، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رقم الحديث 3102.

[15] التفسير والتأويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي. الناشر: دار النفائس، الأردن، الطبعة: الأولى، 1416هـ، ص، 161 -

[16] رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، رقم الحديث: 3056.

[17] رواه الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ماجاء في الحث في تبليغ السماع، رقم الحديث: 2658.

[18] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي– سليمان بن عبد الله العمير، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م، 196/1.

[19] رواه مسلم،كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول.رقم الحديث: 432.

[20] شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤ هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص:346- 347.

[21] رواه مسلم، كتاب الفضائل– باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، رقم الحديث: 2363.

[22] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للمؤلف أبوزكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي "ت 676" دار احياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية 1392، كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأى، 1/ 116.

[23] إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم، 7/ 334

[24] رواه البخاري كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع، رقم الحديث: 67

[25] فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، 3/ 576.

[26] رواه البخاري، كتاب العلم باب فضل من علم وعلم رقم الحديث: 79.

[27] مصابيح الجامع، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني (المتوفى: 827 هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م . 1/ 206.

[28] رواه الترمذي، أبواب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث: 2657.

[29] رواه ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من بلغ علما رقم الحديث: 232.

[30] رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثا، رقم الحديث 6244.

[31] فتح الباري، 189/1.

[32] رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه، فإن قضاء الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا. رقم الحديث: 7181.

[33] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن (٧٢٣ – ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، 15/ 616.

[34] رواه مسلم، كتاب الأشربة باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن التمر والبسر والزبيب وغيرها مما يسكر. رقم الحديث: 1980.

[35] منة المنعم في شرح صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله (٢٠٦ – ٢٦١هـ) الشارح: فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، 334/3.

[36]الكتاب: شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِي عِيَاض 441/6.

[37]رواه البخاري كتاب الأشربة، باب: الخمر من العنب، رقم الحديث: 5581.

[38]الكتاب: فتح الباري، 10/ 51

[39]المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405 هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411 - 1990 .(كتاب الطب، حديث شعبة.رقم الحديث: 7481). 4/ 235

[40]رواه ابن ماجه أبواب الطب، باب في أي الأيام يحتجم. رقم الحديث: 3487.

[41]رواه البخاري، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث:304.

[42] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤ هـ)، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (بيروت)، 1/404- 405.

[43] البدور المضية في تراجم الحنفية، محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكُمِلَّائي، دار الصالح (القاهرة - مصر)، مكتبة شيخ الإسلام (دكا - بنجلاديش)، الطبعة: الثانية، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، 160/20.

[44] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، 406/1.

[45] مالك حياته وعصره آراؤه الفقهية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي- القاهرة، الطبعة: الثانية، ص: 86

[46] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ.)، المحقق: جزء ١: ابن تاويت الطنجي، ١٩٦٥ م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٦ - ١٩٧٠ م، جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد أعراب ١٩٨١-١٩٨٣م، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى، 1/ 128.

[47] ترتيب المدارك، 1/ 150- 151

[48] البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٢٠ هـ.)، حققه: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م، 17/ 332.